

الفصل الرابع

فنون النثر الإسلامى وخصائصه

(١)

الخطابة

عوامل تطورها :

ظلت الجاهلية بمؤثراتها مهيمنة على الفكر والتصور والسلوك فى المجتمع العربى ، وبدأ هذا التسلط فى شتى أعمالهم وأقوالهم ، حتى إذا جاء الإسلام بمحضارته أخذت عوامل التحول تتتابع من حولهم ، وهزم مرة بعد المرة ، حتى إذا غمرتهم مؤثرات الإسلام رأينا تحولاً تاماً فى الفعل وفى القول وفى التفكير وفى التصور والتخيل .

وانستطيع أن نلمس هذه المؤثرات الإسلامية إذا نحن نظرنا النظرة الفاحصة المقارنة . . أولاً : إلى العربى فى عهديه (الجاهلية والإسلام) ثانياً . إلى الراد للفكرى والعاطفى والوجدانى الذى قدمته البيئة الجاهلية لأهلها ، ثم الذى قدمته البيئة الإسلامية لأهلها .

ومن النظر فى تلك المؤثرات نستطيع أن نتف على أهم عوامل التحول التى كان لها أكبر الأثر فى تطوير الخطابة العربية ، وتتلخص تلك العوامل فى :

١ - أمثلة الخطابة التى قدمها القرآن الكريم ، وقد وجد العربى فى تلك النماذج الخطابية شيئاً غير ما اعتاده - ربما كان هذا الشيء بى نفسه لكنه ما كان ليجد لديه القدرة عليه - لما إن سمع العرب القرآن حتى فتنوا به ، وذهلوا عن الأخذ منه والانتفاع به ، ولما أنصتوا إليه وقرأوه أنسوا له ، فأقبلوا عليه ، فإذا بهم أمام نمط آخر من الخطابة يثير ما عرّفوا من أعماطها ، فهو يقصد إلى التأثير والإقناع مما فى أسلوب تربطه وحدة أقوى من الوحدة النفسية، مع اشتماله - كذلك - على الوحدة النفسية.